هيلموت كول.. الانتخابات ومراجعة الذات!

بقلم الدكتور:

نادر رياض

يعترف الألمان دون ثمة اختلاف بينهم بأن هيلموت كول الذى استمر فى منصبه رئيسا للحكومة الألمانية على مدى ستة عشر عاما تمثل اربع دورات متعاقبة فى الحكم بأنه كان أفضل من تولى هذا المنصب، حيث تمت فى عهده قفزات ايجابية متعددة فى مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى البلاد، كما انه مهندس الوحدة الألمانية الذى نجح بحكمته فى بلورة ماعرف بسياسة الوفاق مع الشرق والغرب، وفى تحرير المانيا رسميا من احتلال اربعة جيوش عزلت برلين عن باقى الكيان الغربى لألمانيا، واستلزم الوصول الى برلين الغربية برا أو جوا الحصول على تصريح من المانيا الشرقية.

وبإجلاء الجيوش المحتلة اصبحت ألمانيا الموحدة دولة كاملة السيادة يحق لها المشاركة بالأمم المتحدة، وبذلك طويت صفحة الحرب العالمية الثانية بمراراتها وآثارها السلبية التى ألقت بظلالها المريرة على عقل ونفس كل ألمانى لأكثر من ٥٠ عاما.. كما يرجع الفضل لكول فى اعداد وتنفيذ ما يسمى بالبنية الاساسية للوحدة الاوروبية من توحيد وتوفيق للأنظمة المالية والنقدية والتشريعية لقوانين العمل والضرائب والتشريعات النيابية وتوفيق المواصفات القياسية لجميع السلع، وهو ما أدى فى عهده الى قيام الوحدة الاوروبية كمحصلة لهذا الجهد الكبير، إلا أن هذا الرجل العظيم عندما خذله صندوق الانتخابات فى الحصول على فترة خامسة للحكم سئل: لماذا خسرت الانتخابات؟.. فأجاب وهو مطرق الرأس: «اننى انشغلت بنجاحى فى العمل وانتصاراتى الوطنية التى حققتها على المستوى القومى والاقليمى فلم أعط الاهتمام الكافى للاتصال بالجماهير، واعتبرت أن كشف الحساب بما فيه من انجازات سيحسم نتيجة الانتخاب لصالحى دون ثمة حاجة منى لبذل الجهد اللازم والكافى للتواصل الجماهيرى.

وبهذا فقط نطق هيلموت كول بحقيقة قد تغيب عن بعضنا من ان بقاء الفرد لفترات متتابعة مهما كانت درجة نجاحه الا ان هذا لا يجب ان يشغله عن ضرورة ان يضع خطة عمل لكل مرحلة من مراحل توليه السلطة وتجديداتها بحيث تتمشى مع احتياجات كل مرحلة، ويفرد لها الموازنات التخطيطية التى تحولها من خطط على الورق الى الدخول فى حيز التنفيذ الفعلى، واضعا فى الحساب أن فى هذا اعلانا من مرشح الرئاسة لخططه فى صورة تعهدات قابلة نتائجها للقياس ومعلنة امام ناخبيه وايضا معارضيه على حد السواء.

وقد يبادر أى رئيس من هذا المنطق فى اعلان كشف حساب عن انجازاته قبل انقضاء فترة حكمه ليعلن على الملأ بمعيار قابل للقياس درجة النجاح بصورة علنية وغير مختلف حولها.

ونحن فى مصر فى معركتنا الانتخابية التى تدور رحاها بين عشرة متنافسين فى جو غير مسبوق من ديمقراطية الانتخاب وحرص جميع الاطراف على اتباع القواعد التى يتبعها العالم الحر بصورة قد تصلح نموذجا قابلا للتطبيق فى محيط دول العالم الثالث.. واهم ما يثير الاعجاب بالتجربة الانتخابية المصرية الحالية هو انها تتواصل مع ما قاله هيلموت كول فى لحظة الحساب مع الذات رغم تأكدنا من عدم وجود اى اتصال سابق او لاحق بفكر المستشار الالمانى السابق فيما يتعلق برؤيته عن موضوع الانتخابات.

والمثير للتقدير والاعجاب ما اتبعه مرشح الحزب الوطنى الديمقراطى الرئيس حسنى مبارك من اعلان لخطط طموحة وقابلة للتنفيذ ومتكاملة فى مضمونها تمثل برنامجه الحزبى الذى يدخل به الانتخابات منافسا لتسعة مرشحين آخرين، وهو الأمر الذى لم يألفه بعض من منافسيه، فقد ظهر احد المرشحين من صعيد مصر فى برنامج تليفزيونى معقبا على برنامج الحزب الوطنى الذى اعلنه بحديقة الازهر بعد ساعة من القائه ليصفه بأنه تمثيلية متسائلا ملوحا: لماذا لم ينفذ الرئيس برنامجه هذا وطموحاته المبهرة تلك من قبل اثناء فترات حكمه السابقة؟

وبذا فقد اثبت هذا المرشح شأن كثيرين غيره من انه لا يفرق بين برنامج عمل فترة قادمة يتعهد صاحبها بالالتزام بها، وبين انجازات فى صورة كشف حساب عن فترة سابقة.

هذا الأمر أشبه بمن يتساءل لماذا لم تنتج شركة مرسيدس منتجها المبهر طراز ٢٠٠٥ خلال الاربعينات بدلا من الانتظار لعام ٢٠٠٥؟

وفى هذا يغيب عن البعض أن طراز ٢٠٠٥ المبهر هذا ليس سوى نتاج مطور لافكار واليات وابداعات بنيت على الطراز السابق الذى اطلق عام ٢٠٠٤ وجاء نتيجة مباشرة له.. ان ما نحياه ياسادة الآن انما هو القدرة على صناعة النجاح وما يليها من الحاجة الى تطوير النجاح للوصول لمزيد من النجاح، وهو الأمر الذى يؤكد أن لكل مرحلة من مراحل دورات العمل الوطنى وما اتسمت به وتلازمت معه من وجود لخطط مستقلة للتطوير المستمر وقبول للتحديات والمستجدات الجديدة انتهاء بالقدرة على قياس تلك الانجازات بمقياسها الصحيح.

●● كاتب المقال: رئيس مجلس الاعمال المصرى الالمانى مستشار لجنة الصناعة والطاقة بمجلس الشعب

جريدة الأخبار ٢٠٠٥/٩/٢